

۱۰

سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

زنیت بنت خزیمه

امام المکرم

بقلم : د. وجیه یعقوب السید
بریشه : ا. عبد الشافی سید
إشراف : ا. حمادی مصطفی

کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

كانت زينب بنت خزيمة زوجة للبطل الشهيد عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، الذي لقي ربه شهيداً في غزوة بدر ، وكان عبيدة ابن عم الرسول ﷺ .

كان عبيدة بن الحارث هو صاحب أول راية عقدتها رسول الله ﷺ ، حيث أرسله قائداً على ثمانين رجلاً من المهاجرين ، فلقى جمعا عظيما من قريش ، وعلى الرغم من أنه لم يحدث قتال بين المسلمين والكفار ، فقد أحس الكفار بالهيبّة والخوف ، وأدركوا أن حربهم مع المسلمين قادمة لا محالة .

ومرت الأيام ، والتقى الجمعان في غزوة بدر ، وأثبت عبيدة بن الحارث أنه بطل فوق العادة ، لا يخاف الموت لحظة ، ولكنه يخاف ألا يكون هذا الموت في سبيل الله ..

فحين بدأت المعركة ، ظن الكفار أنهم سيبيدون المسلمين عن بكرة أبيهم بسبب قلة عددهم ، فراحوا يقولون في نشوة :

— اخرجوا إلينا نبارزكم ، ألم تزعموا أنه من يقتل
منكم يدخل الجنة ؟ فقال الله إنا نود أن نلحقكم بها .
ووقف الوليد بن عتبة ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة



ابن ربيعة في مكان مميز ، وراحوا يشهرون سيوفهم في وجه المسلمين ويطلبون المبارزة في تحد سافر ، فتقدم منهم معوذ وعوف ابنا عفراء ، وكانا غلامين صغيرين وقالوا في ثبات :

- نحن نبارزكم ونقتلكم بإذن الله .

ونظر الكفار إليهم نظرة استكبار وسألوهم :

- من أنتم ؟

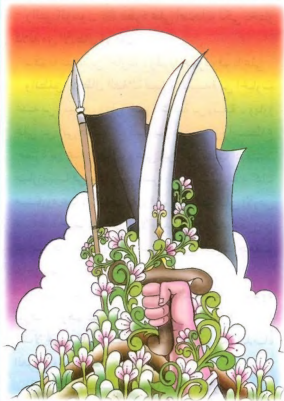
فقالوا :

- نحن رهط من الأنصار ، عاهدنا رسول الله ﷺ على أن ننصره على أعدائه ونقديه بأرواحنا وأموالنا . فقال المشركون :

- نحن لا نريد أن تعيرنا العرب بقتل فتية مثلكم ، ارجعوا وأرسلوا إلينا من هو كفاء لنا .

وصاح الوليد بن عتبة قائلاً :

- يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، وسترى لمن تكون الغلبة !



وَألقى الرسول ﷺ نَظْرَةً عَلَى أَصْحَابِهِ لَكَيْ يَخْتَارَ
ثَلَاثَةً مِنَ الْأَبْطَالِ ثُمَّ قَالَ :

- قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِيٌّ .
وَانْطَلِقُ الْأَبْطَالُ الثَّلَاثَةُ فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ
عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَاسْتَطَاعَ
حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَقْتُلَا
مِبارزَيْهِمَا فِي سَهولةٍ وَيُسْرٍ ، أَمَا عُبَيْدَةُ فَقَدْ كَانَ
مِبارزُهُ عُنِيدًا لِلْغَايَةِ ، فَلَمْ يَسْقُطْ عَلَى الْأَرْضِ
بِمُسَاعَدَةِ حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ
تَوْجِيهِ ضَرْبَةٍ قَوِيَةٍ إِلَى عُبَيْدَةَ ابْنِ الْحَارِثِ جَعَلَتْهُ
عَاجِزًا عَنْ مُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ .

وَاشْتَدَّ الْأَلَمُ بِعُبَيْدَةَ ، وَحَمَلَهُ الصَّحَابَةُ ، وَدَمَاؤُهُ
تَنْزِفٌ .. وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ :

- لَا تَجْزَعْ يَا عُبَيْدَةُ سَوْفَ تَتَوَقَّفُ هَذِهِ الدَّمَاءُ
الْغَزِيرَةَ وَتَعُودُ كَمَا كُنْتَ .

وَكَانَ عُبَيْدَةُ يَبْتَسِمُ بِرَغْمِ مَا بِهِ مِنَ أَلَمٍ وَيَقُولُ :

— واللّٰهُ مَا بِيْ جَزَعٌ ، وَلَكِنِّيْ أَخْشَىٰ أَلَا أَكُونَ فِي

عِدَادِ الشَّهِدَاءِ .

وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْ فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ :

— مَا يَبْكُكَ يَا عَبِيدَةُ ، وَقَدْ وَعَدَنَا اللّٰهُ إِحْدَى

الْحُسَيْنِيِّينَ : فَإِمَّا النِّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ ؟



فقال عبدة :

- تذكّرتُ زوجتي زينب بنت خزيمة وما يصيبها بعد موتي ، فبكيت لأجلها ، فهي امرأة ضعيفة ، وقد أقعدها المرض .

فقال له الصحابة :

- هوّن على نفسك يا عبدة ، فإن الله تعالى قد غرس الرحمة في نفوس المسلمين ، فلا يضيع بينهم ضعيف أبداً .

وتوقف عبدة عن بكائه ثم قال لأصحابه :

- احملوني إلى رسول الله ﷺ ، لألقى عليه نظرة الوداع الأخيرة ، وأسأله أن يدعو لي بالمغفرة .

وحمله الصحابة ، وجاءوا به رسول الله ﷺ ، وما إن رأى رسول الله ﷺ ، حتى تناسى كل آلامه ، وأنزل الله عليه الصبر والسكينة .

كان كل ما يشغل بال عبدة بن الحارث هو أن يطمئن على زوجته ، وأن يتأكد أنه مات شهيداً ، فسأل رسول الله ﷺ :

— يا رسول الله ، هل أنا شهيد ؟

فقال له النبي ﷺ :

— أشهد أنك شهيد .

ونظر البطل إلى رسول الله ﷺ نظرة أخيرة ،

ونطق بالشهادتين ، ثم سكنت نفسه بعد أن صعدت

روحه الطاهرة إلى بارئها .



وعاشت زينب بنت خزيمة أرملة هذا الشهيد وحيدة يملأ قلبها الحزن ويعتصرها الألم ، ولم يخفف عنها سؤال بعض المسلمين عن أحوالها ومساعدتهم لها في قضاء حوائجها ، فإنه بمرور الوقت انشغل كل إنسان بنفسه ، وأصبحت زيارة الناس لها قليلة ، فكادت الوحدة تقتلها .

وإذا كان الناس بسبب مشاغلهم ينسى بعضهم بعضاً ، فإن الله (تعالى) لا ينسى أحداً من خلقه ، خاصة إذا كان في منزلة زينب بنت خزيمة ، حيث ضربت أروع مثل في الصبر والتحمل ، كما كانت جراحة كريمة تنفق على الفقراء والمساكين ، حتى أطلق عليها الناس لقب « أم المساكين » .

وأمر الله رسوله ﷺ أن يضم هذه المرأة المؤمنة الصابرة إلى نسائه ، تكريماً لها ومكافأة على صبرها وطيبة قلبها ، وبسبب حبها لله ورسوله وحبها للمساكين .

ولم تصدق زينب بنت خزيمة نفسها ، حين علمت

بهذا الخبر ، فقد خرجت من الوحدة والوحشة ،
إلى رحاب واسعة ، وصارت زوجة للرسول ﷺ ،
وأصبحت أمًا للمسلمين .

وعلى الرغم من أن السيدة زينب بنت خزيمة لم
تكن ذات جمال ، فإن الرسول ﷺ ضمها إلى نسائه ،
ورفع بذلك مكانتها ومنزلتها ، وهذا دليل على



عظمة هذا الرسول ﷺ وإنسانيته ، حيث كان الدافع له في الزواج من زينب بنت خزيمة ، هو الشفقة عليها ، والخوف عليها من الضياع ، ورفع مكانتها بعد أن ضربت المثل في الصبر والوفاء ، ومن قبلها ضرب زوجها أروع مثل في البطولة والفداء .

وكان زواج الرسول ﷺ منها في السنة الرابعة للهجرة ، بعد زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

وتحدث الناس بإعجاب عن رسول الله ﷺ وعن زواجه من السيدة زينب بنت خزيمة ، ووجدوا فيه دليلاً على شفقة الرسول ﷺ ورحمته .

وفي كتابات المستشرقين عن الرسول ﷺ ، إشارة إلى أن هذا الزواج الإنساني تم بدافع الشفقة .

قال «بودلي» في كتابه «الرسول» :

« تبع زواج محمد ﷺ من حفصة زوجة آخر ، وكان زواجا شكلياً أكثر من أي شيء آخر . كانت العروس

أرملة عبيدة بن الحارث ، ابن عم محمد ﷺ ،
استشهد في بدر . وكان اسمها زينب بنت خزيمة ،
وما ضمها محمد ﷺ إلى نسائه إلا بدافع الشفقة ،
ولم يطل المقام بزینب بنت خزيمة في بيت الرسول
ﷺ ، فبعد بضعة أشهر ، انتقلت السيدة زينب بنت
خزيمة إلى جوار ربها ، وكان عمرها ثلاثين عاما .

جبهة ليلتي و مدني ليلتي



وعلى الرغم من قصر المدة التي قضتها في بيت النبوة ، فقد تركت أثراً طيباً عند عامة المسلمين ، فلا يذكرها أحد إلا بكل خير ، وأجمعت كتب السيرة على أنها كانت كثيرة الصيام كثيرة القيام .

ففي سيرة ابن هشام :

« وكانت زينب بنت خزيمة تُسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورفقتها عليهم . »

وعن الزهري :

« تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة ، وهي أم المساكين ، سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين . »

فقد أجمع الرواة على وصفها بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء .

ولم تكن زينب بنت خزيمة ذات جمال وبهاء ، وإنما كان يكفيها أنها مؤمنة صادقة في إيمانها ، صوامة قوامة ، تنفق بالليل والنهار وتتصدق على الفقراء والمساكين والمحتاجين ، أنعم الله عليها بالفضل بالزواج من نبي الله ﷺ ، وصارت أما

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ .

[التوبة : ١٢٨]

ولذلك فقد كانت أخلاقه ﷺ عظيمة ، ومواقفه نبيلة ، ورحمته بالمسلمين وبالناس جميعاً واسعة لا حد لها ، ويكفي أن نتأمل في زواجه من زينب بنت خزيمة وسودة بنت زمعة وحفصة بنت عمر رضي الله عنهن ، لنعلم أنه ﷺ كان لا يسعى إلى حاجة معينة ، بقدر ما كان يحرص على الالتزام بوحي الله ، وتأليف قلوب أعدائه ، ورفع مكانة هؤلاء إلى مرتبة أمهات المؤمنين ، نظراً لما أقمن به من تضحيات وأعمال عظيمة في سبيل الله ورسوله .

رحم الله زينب بنت خزيمة التي مرت في حياة النبي ﷺ مروراً سريعاً ، وإن كان التاريخ قد خلد ذكرها فهي « أم المؤمنين » ، وأطلق عليها الناس لقب « أم المساكين » .
(تمت)

الكتاب القادم

أم سلمة (١) (بنت زاذ الركب)

رقم الإصدار : ١٠١/٣٦٤٠

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٩٦٦ - ٩٧٧